

كان يا ما كان
صاحبة
القبعة الحمراء



كان يا ما كان ...

صاحبة القُبَّعة الحمراء



مقتبس عن حكايات الإخوة غريم
رسم : منصور عموري

لَمْ قَالَتْ لَهَا : « حُذِي هَذَا الْعَسَلَ بِحَذِيكَ لِتَقْوِي بِهِ قَبْلَ الْعُيُفِ ، حَتَّى تَحْتَمِلَ
خَزَلَاتِ السَّحَابَةِ » . لَمْ أَضَافُ لِحَذَرَةٍ : « أَتَيْتِي يَا ابْنَتِي ، لَا تُفَارِكِي فِي الْغَابَةِ
وَأَسْرِعِي دُونَ تَوَقُّفٍ ! قُلْ سَمِعْتِي ؟ »
« نَعَمْ ، نَعَمْ ، أُمِّي لَا تَقْلِقِي ! »



فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ كَانَتْ فَنَاءً فَايَنَّةً تَعِيشُ مَعَ أُمِّهَا فِي فَرْجَةِ بَعِيدَةٍ قَرِيبَ غَابَةِ
كَثِيفَةٍ . ذَاتَ يَوْمٍ أَهْدَتْهَا جَدَّتُهَا قُبْعَةً حُمْرَاءَ لَمْ تَعُدْ تَرْتَدِي سِوَاهَا ، لِذَا
لُقِبَتْ « صَاحِبَةُ الْقُبْعَةِ الْحُمْرَاءِ » . وَفِي صَبَاحِ يَوْمٍ مُبَكَّرٍ ، جَهَّزَتْ لَهَا أُمُّهَا
سَلَّةً ، وَضَعَتْ فِيهَا فُطَايِرَ وَ زُجَاجَةَ عَسَلٍ .



مَشَتْ صاحبة القُبعة الحمراء زمامًا طويلًا، يَتَعَطَّرُ قَلْبُهَا بِرَوَائِحِ الأزهارِ وَ الصَّنوبرِ
الْعُفِيفِ . وَ لَمَّا نَزَلَ بَعِيدَةً عَنِ مَنْزِلِ جَدَّتِهَا، حَتَّى سَمِعَتْ فَجَاءَةً خَشَعَتْ صَادِرَةً مِنْ
أَلْهِكَةِ قَرِيبَةٍ . تَوَقَّفَتْ لِتَرَى مِنْ هُنَاكَ مِنَ الْخَيَوَانَاتِ الْمَخْشُوبَةِ لَدَيْهَا . فَخَرَجَ الدُّبُّ مِنْ
مَخْبِئِهِ فَحَيَّيْتُهُ وَ هِيَ لَا تَعْلَمُ أَنَّهُ مُقْتَرَسٌ . فَقَالَ لَهَا : « أَتَعْبِثُ ضَبَاحًا ! إِلَى آيِنَ أَنْتِ
دَاهِيَةٌ يَا فَتَاتِي الْجَمِيلَةَ ؟ »

« أَذْهَبُ لِأَزُورَ جَدَّتِي الْمَخْشُوبَةَ .. أَخْمِلُ إِلَيْهَا عَسَلًا وَ فُطَايِرَ لَذِيذَةً »
« وَ آيِنَ تَشْكُرِينَ جَدَّتُكَ ؟ »
« فِي مَنْزِلٍ بَيْنَ أَشْجَارِ الصَّنُوبرِ الثَّلَاثِ وَرَاءَ الْعَابَةِ ! »
فَرِحَ الدُّبُّ وَ خَطَّطَ لِأَكْلِ الْفَتَاةِ وَ الْحَدَّةِ مَعًا

وَأَخِيرًا قَالَ لَهَا : « لِمَاذَا لَا تَأْخُذِينَ بَقَاعَ مِنْ أَزْهَارِ الْغَابَةِ
الْمُعْطِرةِ لِحَدِيثِكَ ؟ أَرَأَيْكَ تَمَشِينَ وَكَأَنَّكَ تَتَوَجَّهِينَ إِلَى
الْمَدْرَسَةِ ، مَعَ أَنَّ الْغَابَةَ مَلِيئَةٌ بِالْمَتَعِ ! »

السَّغْنَتِ الْفَتَاءُ مِنْ حَوْلِهَا وَ قَالَتْ : « فِكْرَةٌ حَبِيبَةٌ يَا صَدِيقِي !
لَرَأَتْ أَشْعَةُ الشَّمْسِ تَرْقُصُ بَيْنَ أَشْجَارِ وَ أَزْهَارِ مُخْتَلِفَةِ الْأَلْوَانِ وَ هِيَ تَتَفَكَّرُ :
« لَوْ أَخَذْتُ بِحَدِيثِي بَقَاعَ فَيَسْهُدُ ، لَأَرَانِ الْوَقْتَ كَافِيًا لِأَصِلَ إِلَيْهَا » .





قَالَتِ الْجَدَّةُ بِصَوْتٍ خَافَتْ : « مِنْ الطَّارِقِ ؟ »
فَاجَابَهَا الذِّئْبُ مُقَلِّدًا صَوْتَ الْقَنَازَةِ : « أَتَا يَا جَدَّتِي، أَخْضَرْتُ لَكَ عَسَلًا وَ قُطَائِرَ » .
رَدَّتِ الْجَدَّةُ مُعْلِمِيَّةً : « اسْحَبِي الْخَيْلَ فَتَتَفَتِّحِ سِقَامَةَ الْبَابِ » .
مَا كَادَ الذِّئْبُ يَفْتَحُ الْبَابَ حَتَّى قَفَزَ عَلَى الْجَدَّةِ فَالْتَهَمَهَا دُفْعَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ تَمَوَّهَ
بِتَوْبِيهَا وَ غَطَّاءَ رَأْسِهَا . عِنْدَيْهِ أَتَخْلَقُ الشَّيْءُ ثُمَّ تَمُدُّدُ عَلَى سَرِيرِهَا .



بَدَأَتْ صَاحِبَةُ الْقَبِيْعَةِ السَّحَابَاءُ تَنْطَلِفُ الْأَرْهَارَ مِنْ هُنَا وَ هُنَاكَ، فَالْمَحْرُوثِ
عَنِ اتِّجَاهِ مَنْزِلِ جَدَّتِهَا، حَتَّى صَارَتْ فِي عُمُقِ الْعَايَةِ . أَمَّا لِلذِّئْبِ فَقَدْ
انْصَرَفَ يَغْدُو بِسُرْعَةٍ حَتَّى وَصَلَ قَبْلِهَا وَ طَرَقَ الْبَابَ ثَلَاثًا .



دخلت المنزل ثم نزلت في غرفة جدتها فرائلة : « أسعدت يوماً جديتي ..
 أحضرت لك فطائر لذيذة و شايًا من الغسل ! »
 احتبًا الدُّش تحت الغطاء و هو يردد بصوت مرتعش : « ضعي السنّة فوق
 الساندة. تعالي و نامي بجانبتي » -



كانت صاحبة القُبعة الحمراء مُشغولة بإعداد باقيتها و هي تُغلي .
 فجأة تذكرت جدتها، فاسترعت خطاها و اضلت طريقها حتى المنزل .
 و عند وصولها اندفعت لفتح الباب .. قالت في نفسها : « يا إلهي ، أنا
 اليوم خائفة .. عاقبة أكون مسرورة جدًا بقُرب جديتي ! »

نَذَا الْوَضْعَ غَرِيبًا عَلَى الْغَنَاءِ فَتَحَاوَرَتْ مَعَ حَدِيثِهَا وَ هِيَ
تَتَعَجَّبُ لِأَمْرِهَا :

- « حَدِّثِي ! كَمْ هُمَا كَبِيرَانِ أَذْنَاكِ ! »
- « كَيْ أَسْمَعُكَ أَفْضَلَ يَا بَنِيَّتِي ! »
- « حَدِّثِي ! كَمْ هُمَا كَبِيرَانِ عَيْنَاكِ ! »
- « كَيْ أَرَاكِ بِوُضُوحٍ أَكْثَرَ يَا بَنِيَّتِي ! »
- « حَدِّثِي ! كَمْ هُمَا كَبِيرَانِ يَدَاكِ ! »
- « كَيْ أَسْمَعُكَ جِدًّا يَا بَنِيَّتِي ! »



- « لَكِنَّ، حَدِّثِي، كَمْ كَبِيرَ فَمْسِكَ ! »
 - « كَيْ أَكَلْتُكَ أَفْضَلَ ! »
- وَمَا كَانَتْ الدَّلِيلُ يَنْتَهِي مِنْ كَلَامِهِ حَتَّى قَفَزَ عَلَى الْبَابِ الْمُسَكِينَةِ.
فَالْتَهَمَهَا دَفْعَةً وَاحِدَةً.



سَمِعَ الذِّئْبُ، فَتَنَامَ نَوْمًا عَمِيقًا، حَتَّى أَذْ صَوْتٌ عَظِيمٌ كَانَ مَسْمُوعًا.
مَرَّ صَيَّادٌ مِنْ هُنَاكَ، سَمِعَ الصَّوْتِ فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : « هَذَا صَوْتُ نَوْمِ عَمِيلٍ لَمِيذَةٍ
عَجُوزٍ مِثْلِ الْجَدَّةِ ! مَا دَخَلَ لَأَرَى مَا بِهَا ! » دَخَلَ الْغُرْفَةَ فَوَجَدَ ذُنْبًا لَمِيذًا عَلَى
سَرِيرِهَا. « هَذَا أَنْتِ .. أَتَيْتِ الْمَجْرِمَ ! مُنْذُ زَمَانٍ وَأَنَا أَتِيكَ عَنْكَ يَا لَعِيْنُ ».



لَمْ يُطْلِقِ الصَّيَّادُ النَّارَ مِنْ بُلْدَقَتِهِ وَ لَكِنَّهُ أَخَذَ مَقْطَعًا وَ بَدَأَ يَنْقُحُ نَظْرَ الذِّئْبِ النَّائِمِ.
وَبِمَجْرَدِ أَوَّلِ ضَرْبَةٍ مَقْصُودَةٍ لَهْ صَاحِبَةُ الْقُبْعَةِ الْحُمْرَاءِ، فَأَخْرَجَهَا ثُمَّ أَخَذَهَا بِيْنَ
ذِرَاعَيْهِ مَحْتَضِيْنًا إِيَّاهَا، وَ هَلْ يَبْتَهِجُ بِسَلَامَتِهَا. خَرَجَتِ الْجَدَّةُ بِدَوْرَقَا وَ هِيَ تَنْتَقِسُ
بِقُصْعَةٍ. اسْرَعَتْ صَاحِبَةُ الْقُبْعَةِ الْحُمْرَاءِ فِي الْبَحْثِ عَنْ حِجَارَةٍ كَبِيرَةٍ مَلَأَتْ بِهَا
نَظْرَ الذِّئْبِ، وَ عِنْدَمَا اسْتَبَقَتْ أَرَادَ الْهُرُوبَ، فَلَمْ يَقْدِرْ لِثِقَلِهِ فَسَقَطَ أَرْضًا وَمَاتَ.





عَمَرَتْهُمُ السَّعَادَةُ جَمِيعًا . أَكَلَتِ الْجَدَّةُ الْقَلِيلَ مِنَ الْفَطَائِرِ وَالْعَمَلِ .
فَاسْتَرْجَعَتْ قُوَّتَهَا . أَمَّا الصَّبَاةُ فَأَخَذَتْ جُفَّةَ الدُّبِّ وَغَادَرَ الْمَنْزِلَ . عَانَقَتْ
الْفَتَاةُ جَدَّتَهَا وَوَعَدَتْهَا بِأَلَّا تُخَالَفَ إِرْشَادَاتِ أُمِّهَا نَعْدَ الْيَوْمِ .